

الإحالة وبناء المعنى بين الافتراض و التداول

د/ رحيمة شبيتر
جامعة بسكرة

Abstract :

المخلص :

The refrent and building of meaning The refrent is very important element in building meaning . It combain between two levels which are semantics and pragmatics it also deals with both text and context the artical choose traditional arabic poeme and analyse its refrents and shed a light on their relation with speakers.

تشكل الإحالة عنصرا مهما، يسهم في صناعة اتساق النص و انسجامه، و الانتقال به من مستوى تلفظي إلى مستوى دلالي و تداولي، يسعى هذا المقال للنظر في الإحالة من منظور تداولي، يرى أن حركية عناصر الإحالة من ضماير و إشارات تخضع للعناصر المتخاطبة وتعمل وفق مقاصدها، و قد عمد إلى نص شعري قديم ل الشاعر عمرو بن الأحمر ، ليرى من خلاله حركة الإحالة و تحولها وفق مقتضيات المقاصد التخاطبية.

تشكل الإحالة عنصرا مهما، يسهم في صناعة اتساق النص و انسجامه ،و الانتقال به من مستوى تلفظي إلى مستوى دلالي و تداولي؛" فالعبارات تحوي ثلاث مستويات تتعايش داخل المحتوى الدلالي العام للملفوظ و هي :

مستوى الدلالة اللسانية

و مستوى الدلالة الإحالية

و مستوى الدلالة الإنجازية"¹

يتعلق مستوى الدلالة الإحالية ببناء مرجعية سياقية، تتحقق عن طريق العناصر الإشارية التي تربط بين النسق والسياق ،و تهفو لبناء الفضاء السياقي المفترض الذي تتحدد مرجعياته تبعا لدوال نصية تتضافر لبناء مفهوم " معنى الوحدة الكلامية الذي يعتمد بشكل جوهري على السياق"² .

تتنوع المحددات السياقية لتشمل العناصر الشخصية و المكانية و الزمانية ،جاعلة من الذات مركزا إشاريا يستقطب بقية العناصر ،" فالمبدأ العام الثاوي خلف الإشارة هو جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"³ إلى جانب هذا، هناك من يعرف الإحالة بأنها " تلك العلاقة التي تربط بين العبارات في اللغة و الأشياء الموجودة في العالم التي تحيل عليها تلك العبارات "⁴.

والهدف من هذه العلاقة لا يقف عند حدود الربط فحسب، بل يروم إنجاز فعل ، يتجاوز حدود التواصل والتعيين " فالإحالة فعل تداولي يربط بين الخطاب و ما يحيل عليه من جهة، و بينهما والمشاركين في عملية التخاطب من جهة ثانية "⁵

إذن الإحالة محكومة برؤيتين هما: الرؤية الدلالية والرؤية التداولية،

1/ الرؤية الدلالية للإحالة : إن الإحالة "علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحيل إليه "⁶ لكن المهم " أن نأخذ في الحسبان بأنه ليس لجميع التعابير الإحالية وجودا فيزيائيا (...) إذ يمكن أن نستخدم الإحالة للتعبير عن وحدات يفترض أنها توجد لكنها غير موجودة في الواقع "⁷.

إن الرؤية الدلالية للإحالة لا تراعي البعد التواصلية مما يجعلها رؤية تبحث عما يعضدها في السياقات التواصلية المختلفة.

2 / الرؤية التداولية للإحالة:

تقوم الإحالة على ربط النص بسياقه ، هذا الفعل يتجاوز حدود الدلالة التعينية للأشياء ، فالمتكلم والسامع لا يفيدان في معرفة المحددات السياقية إلا بقدر ما تقدمه هذه العناصر ، بوصفها عناصر فعالة في بناء الحدث.

انطلاقاً من هذا فالإحالة في ارتباطها بالبعد التداولي ، لا تفيد كثيراً في البحث عن المفترض أو المقتضى" الذي يعد أقرب إلى بوتقة المعاني الصريحة من المدلولات المسكوت عنها" ⁸

و لنأخذ هذا المثال الذي أورده عادل فاخوري في مقاله (الافتراض بين الدلالة و التداول ("اللغة مليئة بالعبارات التي تدعو إلى الافتراض ، نعتبر على سبيل المثال هذه الجملة المعقدة "

ندم أحمد على توقفه عن دراسة اللغة الإنجليزية قبل السفر إلى لندن ،
وسلبها أي:

لم يندم أحمد على توقفه عن دراسة اللغة الإنجليزية قبل السفر إلى لندن .
فإننا نجد أنهما تشتركان في عدة استدلالات هي :

1 - ثمة شخص واحد اسمه أحمد .

2- توقف أحمد عن دراسة اللغة الإنجليزية .

3 - كان أحمد يدرس اللغة الانجليزية .

4- سافر أحمد إلى لندن .

وبالتالي كل هذه الاستدلالات تشكل مفترضات أو(مضمرات) للقضية المذكورة وسلبها .⁹
أعتقد أن معرفة معلومات من قبيل يوجد شخص اسمه أحمد ، و كان يدرس اللغة الإنجليزية ، وسافر إلى لندن تشكل حقائق صريحة يستشفها أي كان من الخطاب ، و لكن التواصل يقتضي تجاوز هذه المعلومات ، فالبؤرة في القضية و سلبها لا ترتبط بمعرفة المعلومات السابقة فحسب ، فالمفترض و إن كان لا يتغير في (ج1 ، س ج 1) فإن المسكوت عنه يتغير ، و ربما هو ما يقتضيه فعل التواصل وفق مايلي:

ندم/لم يندم	{	أحمد موجود
		كان يدرس اللغة الانجليزية
		سافر إلى لندن

إن (ندم) تشكل بؤرة تستقطب العناصر الإحالية وتتضافر مع إحالات سياقية أخرى، يمكن أن نسميها إحالات عامة من قبيل: إحالة لندن إلى التكلم باللغة الانجليزية، لينتقل الخطاب من الافتراض إلى الاستدلال عن المفترض أو المسكوت عنه وفق ما يلي:

أحمد موجود
كان يدرس اللغة الانجليزية
بأحمد ترتبط
سافر إلى لندن

افتراضات تبني على إحالات خاصة تتعلق
مع الإحالة العامة

إن الفعل الموجه ندم و الافتراضات المستنتجة من الإحالات الخاصة مضاف إليها الإحالة العامة، تضرر خطابا مفاده؛ أن أحمد لم يحصل من دراسته للغة الإنجليزية كفاءة تؤهله للتواصل، بينما سلب القضية فإن بؤرته (لم يندم) في ارتباطها بمستنتجات الإحالة الخاصة و الإحالة العامة تضرر خطابين يتعلق أحدهما بمستنتجات الإحالة الخاصة مفاده : أن أحمد استطاع التواصل في لندن بالمقدار الذي درسه من الإنجليزية، و المضمرة الآخر يرتبط بالإحالة العامة، مفاده أن الوسط الذي سافر إليه أحمد ساعده على اكتساب اللغة الإنجليزية، أفضل مما كان عليه أثناء الدراسة.

إن الرؤية التداولية للإحالة تقوم على الجمع بين عنصر الافتراض المسبق و المضمرة أو المسكوت عنه في الخطاب بوصفهما عنصرين يولدهما السياق و يوجههما ، و هذا لا يتوافق مع الرأي الذي يذهب إلى أن "كلا من المقتضى (المفترض) و المسكوت عنه يشكل معلومة سرية لا تحظى إلا بنصيب من الإفادة التواصلية إذا ما هي قورنت بالمعلومات الصريحة ، ومن ثم يستطيع المخاطب تناسيها عند تفكيك الملفوظات¹⁰ .

فالمخاطبون في الغالب يتجاوزون حدود المعلومات الصريحة ،التي تكون غلافا يحول دون الوصول إلى الإفادة التواصلية .

إذن الرؤية التداولية للإحالة تعيد تقسيم أنواع الإحالة ،التي كانت تخضع في ارتباطها بالدلالة إلى محدد سياقي، يبنى على موقعها من العنصر الذي تحيل عليه (قبل / بعد) و هي محددات زمنية، الناتج عنها إحالة قبلية أو بعدية، أو بالنظر إلى وجود العنصر الذي تحيل عليه (داخل/خرج)، و هو محدد مكاني الناتج عنه إحالة داخلية (مقالية) أو إحالة خارجية (مقامية) ، بينما يرتبط التقسيم التداولي للإحالة بمقدار ما يعرفه المتكلمون من معلومات ينتج عنها إحالة بناء و إحالة تعيين .

إحالة بناء: "تكون الإحالة إحالة بناء حين يقصد بها حمل المخاطب على تمثيل ذات غير متوافرة لديه"¹¹.

إحالة تعيين: "وتكون حين يكون المقصود بها حمل المخاطب على التعرف على ذات يتضمنها مخزونه الذهني"¹².

اعتمادا على المعطيات النظرية السابقة ، يسعى هذا المقال للنظر في الإحالة من منظور تداولي، يرى أن حركية عناصر الإحالة من ضمائر و إشارات، تخضع للعناصر المتخاطبة وتعمل وفق مقاصدها

و قد عمد إلى نص شعري قديم للشاعر عمرو بن الأحمر¹³ ، و اجتزأ مقدمته و خاتمته ، ليرى من خلالهما حركة الإحالة و تحولها وفق مقتضيات المقاصد التخاطبية .

1/ الإحالة في مقدمة القصيدة

النص:

بان الشباب و أفنى ضعفك الكبر	لله درك أي العيش تنتـ ظر
هل أنت طالب شيء لست تدرك	أم هل لقلبك عن ألفه وطر
أم كنت تعرف آيات، فقد جعلت	آيات إلفك بالودكاء تدثر
أم لاتزال ترجى عيشة أنفا	لم ترجى قبل ولم يكتب بها زبر
يلحى على ذاك أصحابي، فقلت لهم	ذاكم زمان وهذا بعده عصر ¹⁴

في بداية النص تطالعنا ذات لا ندرك ماهيتها ، يبدو أنها خارج النص ، و تقوم بتوجيه الخطاب إلى شخص معين عبر دوال نصية تتمثل في كاف المخاطبة و في سلسلة الأسئلة المطروحة غير أن البيت الأخير من المقدمة يدعو القراء إلى إعادة النظر في العناصر الإحالية إذ يبدو أن هناك ذاتين :

ذات مخاطبة تتجلى ملامحها من خلال الأسئلة المطروحة و ذات مخاطبة (متحدث إليها) تتجلى في نهاية المقطع و يفضي ظهورها إلى إعادة النظر في الإحالة و عناصرها كما سيتجلى لاحقا.

الإحالة الضميرية:

تشكل الضمائر في الغالب إحالة مقالية ناسجة وشائج الترابط بين النص و سياقه غير أن هذا لا يشكل قانونا عاما ، إذ يبدو أن الضمائر الواردة في النص تحيل إحالة مقامية

خاصة في الأبيات التي تأخذ مساحة في المجال النصي [1،4]، ويمكن تقسيم العناصر الإحالية المرتبطة بالمخاطب إلى عناصر اسمية و أخرى فعلية، ترتبط عن طريق الضمير المنفصل أنت وفق ما يلي :

ضعفك، قلبك، إلفك/أنت/كنت/لا تزال،ترجى .

الإحالة الضميرية والاستقطاب:

إن الضمير (أنت) يشكل إحالة بعدية ،على سلسلة من الضمائر المتصلة الواردة ،في (ضعفك /إلفك)، و لكنها إحالة ضمير على ضمير؛ لا تسمح ببناء تصور عن الأشخاص، و هذا لا يقدم كثيرا في الإفادة التواصلية، و لكنه داخل النص يؤسس لحركية الفعل الشعري، أو يخضع المقصدية إلى الفعل الشعري.

إن الضمير (أنت) يصنع إحالة قبلية في ارتباطه بضعفك، و إحالة بعدية في ارتباطه بقلبك و إلفك ويتجاوز هذه الحدود ليطابق بين عناصر الذات (ضعفك، قلبك، إلفك) و أفعالها (كنت ، لا تزال، ترجى).

تبنى الإحالة في هذا النص على تحول الضمائر من المخاطب المتصل إلى المخاطب المنفصل ،

و يرتبط الضمير المتصل بالإخبار (بان الشاب و أفنى ضعفك الكبير)، كما يرتبط بالإنشاء (لله درك أي العيش تنتظر) مما يحوله إلى بؤرة استقطاب لعناصر قبلية وبعدية، و عناصر إخبارية و إنشائية.

الإحالة /الزمن/والتحول :

تتضافر العناصر الإحالية المرتبطة بالإخبار و الإنشاء للبحث عن المضمير، الذي يكشف حال المخاطب، و ما آل إليه من ضعف و كبر، يحتم عليه الاتصال بغيره ،غير أن الوضع يتغير في الانتقال إلى الضمير المنفصل (أنت) و الذي يرتبط بتكثيف الأسئلة :

هل أنت طالب شيء لست تدركه ؟

أم هل لقلبك عن ألافه وطر؟

أم كنت تعرف آيات ...؟

في الغالب لا يصنع السؤال إحالة ، و لكن داخل هذا النص يفضي تراكم الأسئلة إلى بناء إحالة ،و لا ضير في ذلك فالإحالة "علاقة معنوية دلالية تتحقق بوسائل لغوية" ¹⁵ و هذا قمين بتفعيل البعد التداولي، إذ أن بؤرة الأسئلة السابقة هي التركيز على حال التوتر التي

يعيشها المخاطب ،و التي تستغرق ثلاث أزمنة :

هل أنت طالب (حاضر مستمر).

أم كنت تعرف (ماضي).

أم لا تزال ترجى (ماضي و مستقبل).

إن الإحالة التي ترتبط بالعناصر المستفسر عنها ترتبط بالغياب مما يعمق أَلَم الشاعر؛ فالإ جانب الضعف و الكبر تؤول الحاجة المبحوث عنها من الحضور إلى الغياب، عن طريق الإحالة أو عن طريق التحول من هيئة إلى أخرى، شيء لست تدريه /((الحضور /الغياب)

و تتحول المعرفة اليقينية (كنت تعرف آيات) إلى معرفة ضبابية تحد من فاعلية الذات، و توعز إلى مجهول "جعلت" ثم تغيب الآيات في سلسلة من التحولات، لتغدو أثارا ثم تتدثر
أَمْ كُنْتُ تُعْرِفُ آيَاتُ فَقَدْ جَعَلْتُ أَثَارَ إِفْكَ بِالْوَدُكَاءِ تَدَثَّرُ

إن العناصر التي تلج عليها الأسئلة تغيب عن طريق الإحالة، أو عن طريق التحول من هيئة إلى أخرى و هذا يمس الذات المخاطبة، فهذه العناصر من متعلقاتها و إن انفصلت عنها، وهناك جهد مبذول لإعادة تحقيق الارتباط بها و يتحقق الاتصال وفق مايلي :

أنت قلبك ← ألافه

الكاف تحيل على أنت، و الهاء تحيل على الكاف، و هذا يولد حركية على مستوى الضمائر التي ترتبط ببعضها و تحيل على ذات واحدة أو على شيء من متعلقاتها .

الإحالة و سلسلة التحولات :

بنيت التحولات في المجال النص [4،1]على حضور تراكمي للضمير، الذي يرسم ملامح ذاتين ؛ ذات متكلمة يبدو أن لها وجودا مقاميا، و ذات مخاطبة تظهر ملامحها من البيت الأول، عنصرها الإحالي "ك" يبدو أنه يحيل إحالة مقامية، غير أنه يفقد هذه الخاصية لاحقا، عن طريق الضمير المنفصل "أنت" الذي يحل محل العنصر الإحالي و يؤدي معناه و تتحول الإحالة إلى مقالية، غير أنها إحالة ضمير على ضمير، كما سبق و أشرنا .

وبانتقال القراء إلى البيت الخامس يحدث تحول :

يلحى على ذاك اصحابي فقلت لهم ذاكم زمان و هذا بعده عصر.

يفرض هذا البيت نمطا جديدا من الإحالة أو يدعو إلى مراجعة الإحالات السابقة وفق مايلي:

1/ تحول الإحالة المقامية إلى إحالة مقالية : فالذات التي كانت تطرح الأسئلة و تبدو خارج النص أصبحت نصية (أصحابي)، و كانت تبدو ذات واحدة أصبحت ذواتا.

2/ تحول الإحالة من قبلية و بعدية إلى بعدية فقط : فالضمير "أنت" الذي صنع سابقا إحالة قبلية و بعدية يتحول إلى بناء إحالة بعدية، بعد ظهور الذات المتحدث إليها - عن طريق ضمير المتكلم - في البيت الخامس .

3/ تحول الإحالة من ضمير المخاطب إلى إحالة باستخدام ضمير المتكلم : إن ظهور هذه الذات، مر بسلسلة من التحولات تبعا للضمير؛ من المخاطب المتصل إلى المخاطب المنفصل، وصولا إلى ظهور الذات عن طريق ضمير المتكلم، إذن هنالك شيء ما يحول دون الظهور الصريح للذات التي بنت إحالة لذاتها عبر طبقتين تتضافر فيهما العلاقات بين المتخاطبين وفق ما يلي :

طبقة الإخبار :

بان الشباب و أفنى ضعفك الكبرُ
ذاكم زمان وهذا بعده عصرُ

يرتبط الإخبار بحقيقتين؛ تصدر واحدة عن الجماعة السائلة وهي "بان الشباب" وتصدر الأخرى عن الذات المعنية في إقرارها لحقيقة ، تنفرع إلى زمنين (ذاكم) زمن الشباب ، (و هذا بعده عصر) زمن الشيخوخة.

طبقة الاستفهام :

لحي على ذاك أصحابي فقلت لهم
لله درك أي العيش تنتظر

إن طبقة الإحالات الناتجة عن الاستفهام ترتبط بذاتين داخل شبكة علائقية؛ إذ يتعلق فحوى الأسئلة بالذات المعنية سابقا بالإخبار، و يرتبط فعل طرحها بالذات السائلة، و الأمر نفسه بالنسبة إلى جملة (يلحي على ذاك أصحابي فقلت لهم)، التي ترتبط بالاستفهام عن طريق اسم الإشارة ذاك و تحديد الجماعة السائلة (أصحابي)، و ترتبط بالذات المعنية بالأسئلة عن طريق خروجها من دائرة المخاطبة إلى دائرة المتكلم.

فالبيت الخامس يلح على فكرة التحول، و التغيير التي كانت معطى سابقا ظهر مرتبطا بالذات المتحدث إليها في شكل مفترض وفق مايلي : *وجود " ذات ما" يتوجه إليها السائل بالخطاب

*هذه الذات انتقلت من مرحلة إلى مرحلة (بان الشباب و أفنى ضعفك الكبر)

*تتعلق هذه الذات بمجموعة من العناصر، تشكل فعل الفقد و الغياب ؛شيء ليست تدركه/

قلبك عن آلافه وطر/آيات تدثر.

الإشارات و تحولها :

إن التحول الذي يفرضه البيت الخامس تحقق على مستوى الضمائر و يتحقق على مستوى الإشارات ،

التي تتكشف في هذا البيت ذاك / هذا / ذاكم و تتباين دلالاتها إذ" يجمع جمهور النحاة على أن المشار إليه ذاتا كان أم مكانا ثلاث رتب بالنظر إلى نقطة التخاطب¹⁶ و يشكل ذاك مركزا إشاريا يضم كل العناصر السابقة (يلحى على ذاك أصحابي)، و يرتد إلى البيت الأول ليعيد توزيع الأدوار الكلامية القائمة على تبادل مستمر بين المخاطب والمتكلم.

إن المتكلم (السائل /الصحب) تغيب عنه حقائق أخرى يوضحها اسم الإشارة ذاكم ،الذي يرتبط بسياق مقالي يجعله يحيل على زمن أبعد من ذاك وفق مايلي:

يلحى على ذاك أصحابي فقلت لهم ذاكم زمان وهذا بعده عصر

يتحد اسما الإشارة ذاك وذاكم لبناء إحالة في زمن ماض مسكون بالأمل ،في مقابل اسم الإشارة هذا الذي يفيد القرب ويرتبط بزمن الشدة (عصر).

اعتمادا على ما سبق نخلص إلى أن التوتر الحاصل على مستوى الضمائر حضورا وغيابا ،اتصالا وانفصالا، يمتد ليشمل الإشارات بعدا (ذاك)وقربا(هذا) فردا (ذاك)وجمعا (ذاكم).

2/بناء الإحالة في خاتمة القصيدة :

النص :

هل في الثمانين من التسعين مظلمة	وربها لكتاب العرش مستطر
يكسونهم أصبحيات محدرجة	إن الشيوخ إذا ما أوجعوا ضجروا
حتى يطيبوا لهم نفسا علانية	عن القلاص التي من دونها مكروا
لسنا بأجساد عاد في طبائعنا	لا نألم الشر حتى يألم الحجر
ولا نصارى علينا جزية نسك	ولا يهود طغام دينهم هدر
إن نحن إلا أناس أهل سائمة	ما إن لنا من دونها حرث ولا غرر
ملوا البلاد وملتهم وأحرقهم	ظلم السعاة وباد الماء والشجر
إن تداركهم تصبح ديارهم	فقرا تصيح على أرجائها الحمر

أدرك نساء وشييا لا قرار لهم
 إن العياب التي يخفون مشرحة
 فابعث إليهم فحاسبهم محاسبة
 ولا تقولن زهوا ما تخبرني
 سائلهم حيث يبدي الله عورتهم
 إن لم يكن لك فيما قد لقوا غير
 فيها البيان ويلوى دونك الخبر
 لا تخف عين على عين ولا أثر
 لم يترك الشيب لي زهوا ولا العور
 هل في قلوبهم من خوفنا وحر¹⁷
 ترتبط الذات في الخاتمة بمحدد شخصي هو العمر (98 سنة) الذي يبني إحالة قبلية ،
 ويقترن بالاستفهام الإنكاري، الذي يخرج عن مقتضاه لينجز فعلا كلاميا حاجيا ،
 تتحدد قوته الإنجازية نتيجة تضافر سلسلة من الدوال هي :
 الاستفهام الإنكاري.
 السن.

قراءة كتاب الله .

كما يبرز عنصر إحالي جديد (هم) يكسونهم/حتى يطيبوا لهم ،يقوم على بناء مفارقة
 إحالية فالعناصر الإحالية ترتبط بفعلين ؛يكسو ويطيب وهي عناصر إيجابية في مستواها
 اللفظي ولكنها سلبية في دلالتها لارتباطها بعناصر أخرى وفق ما يلي :
 الكسوة ← أصبحيات محذرة (الضرب)

يطيبوا لهم نفسا ← عن القلاص التي من دونها مكروا (السلب)
 تصنع الإحالة افتراضا يرتبط بوجود ذوات جماعية ،تسلط العذاب على الذات المتكلمة
 مما يجعلها تعد إلى تحويل الإحالة من إحالة على مفرد إلى إحالة على جماعة (لسنا،إن
 نحن)

إن هذا التحول يرتبط بحشد الإحالة بطاقة جماعية لمواجهة ظلم الجماعة المسلط على
 الذات التي تنتقل من المفرد إلى الجماعة عبر آليتين هما: النفي والإثبات نوضحها وفق
 ما يلي :

لسنا بأجساد عاد في طبائعنا .
 ولانصارى علينا جزية نسك .
 ولا يهود طغام دينهم هدر .

يصنع الضمير المتصل إحالة على الذات في اتصالها بذوات أخرى، تسعى للانفصال عنها عبر النفي (عاد، نصارى، يهود)، وتقل وتيرة ظهور الضمير تدريجيا لتتعدى في ارتباطها باليهود :

1/لسنا/طبائنا. 2/علينا. 3/ولا يهود . تنتج الإحالة في ارتباطها بالضمير عن طريق العطف فتتحول الإحالة بالضمير المتصل إلى إحالة بالضمير المنفصل(نحن) لحظة الحديث عن الجماعة الطبيعية والتي تقوم في بناء إحالتها على القصر والاستثناء (إن نحن إلا أناس أهل سائمة).

ويتجاوز في التخصيص عن طريق نفي ارتباط الجماعة بأشياء أخرى ؟؟؟؟؟(وضحي الأشياء الأخرى) (ما إن لنا دونها حرث ولا غر)، غير أن الإحالة في ارتباطها بالمتكلم سرعان ما تتحول إلى الغياب (ملوا البلاد وملتهم). وفي الانتقال إلى الغياب بعد الحضور دلالة رمزية خاصة، تؤمىء إلى سحق هذه الذات وتغييبها، بفعل الفاعل الذي تأخر في الظهور ولكنه تقدم في الإنجاز (أحرقهم ظلم السعاة وباد الماء والشجر)، وقد توسط ظهوره فعلى سلبين هما: الإحراق والإبادة)، كما أن الفاعل مركب إضافي، يرتبط بالمفارقة الإحالية السابقة وفق ما يلي :

• الظلم يرتبط بأصبيات محدرجة .

• السعاة يرتبط ب يكسونهم ويطيبوا لهم .

يبني هذا الفاعل إحالة قبلية، وإحالة بعدية، وترتبط إحالته البعدية بالإخفاء والتدليس كما يبين ذلك البيت الموالي :

إن العياب التي يخفون مشرحة فيها البيان ويلوى دونك الخبر

إن ظهور الفاعل بهذا الشكل الذي أفضى إلى تغييب الذات الجماعية اتصالا وانفصالا، واستوجب ظهور قوة مساعدة، تقف في وجه هذا الطغيان :

إن لا تداركهم تصبح ديارهم قفرا تصيح على أرجائها الحمر

وتتجلى الإحالة في هذا البيت في ارتباط ذاتين؛ الجماعة المظلومة، والخليفة المؤمل فيه رفع الظلم في لفظة واحدة (تداركهم)، و لما ارتبط هذا الفعل بالشرط كان جوابه متعلقا بما سيحل بالجماعة التي غابت، وحلت دوالها محلها (ديارهم) التي ارتبطت بضمير الغياب، الذي يتضافر مع معطيات سابقة من (شيخوخة، وظلم السعاة) لينتهي الأمر إلى غياب الجماعة، مما ولد الانتقال من الشرط إلى الأمر (أدرك، فابعث، ولا تقولن، سائلهم).

إن فعل الأمر يرتبط بإنجاز فعل كلامي غير مباشر، إذ يخرج عن طلب الإنجاز إلى الرجاء، أما على مستوى الإحالة فإن ضمائر الغياب السابقة انتهت إلى تغييب الذات، مما ولد اللجوء إلى دوال إحالية هي أسماء الجنس (نساء وشييا).
 فظهور الذات المساعدة أعاد للذات قوتها وحولتها من الغياب المقترن بالجماعة إلى الظهور عبر فعل التكلم الذي اقترن بإنجاز فعل الرجاء لتزيد وتيرة هذا الفعل وتتجاوزته وفق السلمية التالية:

1/ تقديم الحجة : كشفت الحجة القناع عن ظلم السعاة القائم على التدليس والمداينة (إن العياب التي يخفون مشرحة فيها البيان) . وقد جاءت الحجة في شكل استعاري ، والاستعارة ترد في أعلى درجات السلم الحجاجي.

2/ فعل الإخبار: الذي يرتبط بالسعاة الذين غابوا على مستوى الضمير وحضروا على مستوى الفعل (فعل الإخفاء). كما يرتبط الإخبار بفعل إحالي متعلق بالخليفة (يلو دونك الخبر).

إن هذه الاستراتيجية الإخبارية تقوم على وضع الخليفة في مواجهة السعاة ، وتزويجه عن العلم بأعمالهم، كما تكسب المتكلم قوة في إنجاز فعله.

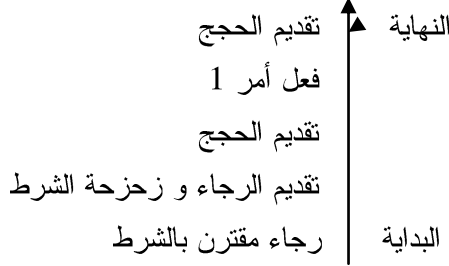
3/ فعل الأمر : إن الحجة السابقة أهلت المتكلم إلى الزيادة في قوة الفعل الإنجازي، وتحويله من الرجاء إلى الأمر (فابعث إليهم، فحاسبهم)، لينتقل إلى النهي :

لا تقولن زهوا ما تخبرني
 لم يترك الشيب لي زهوا ولا العور
 إذ صار النهي مؤسسا على بناء حجة، لتفعيل القوة الإنجازية لفعل الأمر السابق (ابعث إليهم) وترتبط هذه الحجة بمعطيات سبق ذكرها ، وأعيدت بشكل آخر وفق ما يلي :
 هل في الثمان من التسعين مظلمة ؟، ربها لكتاب العرش مستطر . إن الشيوخ إذا أوجعوا ضجروا ، لم يترك الشيب لي زهوا ، ولا العور.

4/ الفعل التأثيري: يرتبط الفعل التأثيري في إنجاز الفعل الكلامي بالتحقق ، وهو مبعد في الغالب ، إذ المعول عليه في التداولية هو الفعل الإنجازي أو الفعل المتضمن في القول "غير أن الفعل التأثيري له قيمة في الكشف عن تحقق الفعل الإنجازي"¹⁸ . ففي النص السابق انتقال من فعل (ابعث) إلى (سائلهم) ، بعد تقديم سلسلة من الحجج ، إذ أن فعل المسألة تال لفعل البعث ، حتى وإن لم يتحقق على مستوى الواقع ، فإن النص انتقل في

بناء سلمية أمرية من الرجاء إلى فعل الأمر المقترن بالتحقق، نتيجة ظهوره في شكل فعل تأثيري لفعل أمر سبقه وفق ما يلي:

فعل أمر 2 هو فعل تأثيري للفعل 1



داخل هذا المقطع النصي الذي ارتبط بظهور الخليفة، تحولت الإحالة من إحالة على ذوات إلى إحالة على أفعال.

المراكز الإحالية في النص :

تبعاً للمقطعين النصيين السابقين، نجد أن الإحالة تتوزع حسب الأهمية إلى مركزين :
 مركز الإحالة الثانوية الذي يرتبط بالصحب أو بعناصر ثانوية .
 مركز الإحالة الرئيسية الذي يرتبط بالذات التي تتحول إلى بؤرة تستقطب مجموعة من العناصر ،الصحب والخليفة ، والسعاة .تظهر هذه العناصر مقترنة بعناصر إحالية تستخدم الضمير تبعاً لحاجات الإنجاز ومقتضيات السياق ، فتنحول من المتكلم إلى المخاطب إلى الغائب . كما تتوزع الإحالة تبعاً للذوات والأفعال إلى قطبين :
 1/قطب إحالة على الذوات .

2/قطب إحالة على الأفعال :إن العناصر الإحالية الفعلية تتوزع على محورين هما :
 محور فعل الظلم الذي يظهر أثره قبل ظهور فاعله ،ويرتبط بالتحول على مستوى الإحالة الإشارية والإحالة الضميرية .

محور فعل المقاومة : الذي يرتبط بفعل التكلم ،الذي ينتقل من الإخبار ،إلى الأمر الذي يتأسس على بناء أفعال حجاجية وأخرى إنجازية ،كما يتأسس على الارتكاز على ذات فاعلة هي الخليفة.

السلمية الإحالية وبناء التوقع :

"إن استعمال اللغة أو التكلم سلوك مقعد ومقصود ويتمثل في إنجاز فعل لغوي"¹⁹، وعليه فإن الإحالة وتكثيفها يفضي على مستوى الضمير . والفعل يقترن بسلسلة من التحولات التي توميء إلى أهمية هذا العنصر في تحوله إلى بؤرة استقطاب . فالذات تتحول من مخاطبة إلى متكلمة بالإخبار ،إلى متكلمة بالأمر ،وفق السلمية التالية:

ظهور الذات عبر الفعل التائيري الناتج عن	}	فعل الأمر.
ظهور الذات عبر فعل الأمر .		
ظهور الذات عبر فعل الرجاء .	}	الخاتمة
ظهور الذات عبر الالتجاء إلى مساعد (إن لا تداركهم) .		
غياب الذات عبر فعل التغييب الصادر عن السعاة .		
ظهور الذات في ارتباطها بالجماعة اتصالا وانفصالا .		
ظهور الذات في ارتباطها بصور حجاجية	}	المقدمة
ظهور الذات بشكل فاعل(يلحى على ذاك أصحابي فقلت لهم)		
غياب الذات عن طريق تأخير ظهورها .		

إن المعطيات التي تقدمها الإحالة في هذا النص ،تتضافر مع معطيات عامة ترتبط ببنية القصيدة العربية ،تجعلنا نفترض أن العناصر التي غيبت تتعلق بمدح الذات المساعدة أي الخليفة قبل مباشرة فعل الشكوى ،وهي عناصر ترتبط بالمعرفة اللغوية واستعمالاتها التداولية (...)وما يحدثه التلفظ بالخطابات من أثر ،فتصبح هذه الخطابات عناصر سياقية للخطابات اللاحقة²⁰ أو مرجعية يبنى على أساسها المفترض وربما المضمّر .

الهوامش والإحالات:

- 1- إدريس سرحان طرق التضمين الدلالي والتداولي رسالة دكتوراه جامعة ظهر المهراز/فاس/المغرب ص: 178
- 2- جون لاينز اللغة والمعنى والسياق ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، العراق /بغداد ط1/ 1987 ص: 215
- 3 محمد خطابي لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، المغرب ط1/ 1991، ص: 3
- 4 عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة دار توبقال للنشر المغرب ط1/ 2000 ص: 111
- 5 أحمد المتوكل الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، منشورات الإختلاف، الجزائر ط1/ 2010 ص: 83
- 6 محمد خطابي لسانيات النص ص: 17.
- 7 george youle pragmatics,oxford university,press,new york 5ed , p : 18
- 8 إدريس سرحان ص: 191
- 9 عادل فاخوري الدلالة والتداول الافتراض والتفسير ص: 72
- 10 إدريس سرحان، ص: 191
- 11 أحمد المتوكل مرجع سابق ص: 79
- 12 نفسه، ص: 79
- 13 عمرو بن الأحمر شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وغزا في مغازي الروم وأصيب بإحدى عيبيه (...توفي على عهد عثمان، الجمهرة، ص 675
- 14 أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي البجاوي، دار النهضة القاهرة ط/دت ص: 675/676:
- 15 ينظر محمد خطابي، مرجع سابق ص: 16
- 16 أحمد المتوكل، مرجع سابق، ص: 106.
- 17 الجمهرة ص: 681/683
- 18 رحيمة شيتير تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجا رسالة دكتوراه، إشراف د/عبد القادر دامخي، جامعة باتنة 2009 ص: 151
- 19 حسان الباهي، الدلالة والإحالة، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ع 26/ 1988، ص: 138
- 20 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد بيروت /لبنان، ط1/ 2004 ص: 51